مجلة جامعة طبرق للعلوم الاجتماعية والإنسانية

"Tobruk University Journal of Social and Human Sciences"

تصدر نصف سنوية (يناير يوليو) عن جامعة طبرق

https://jshs.tu.edu.ly/

واتس :0910162364

رقم الإيداع القانوني 57/ 2021

الرقم الدولى الموحد:ISSN: 2789-5068

الرحالة الألمان في ولاية طرابلس الغرب بين الجغرافيا السياسية والمعرفة الجغرافية

German travelers in the Province of Tripoli between political geography and " geographical knowledge

أ. د/ سعاد محمد الجفال

قسم التاريخ/ كلية الآداب/ جامعة طرابلس

الملخـص:

استقبلت ولاية طرابلس الغرب العديد من الرحالة الأوروبيين منذ القرن السابع عشر الميلادي إليها، بينما كان وصول الرحالة الألمان إلي الولاية قبيل منتصف القرن التاسع عشر، فكانوا يأتون إما ضمن بعثات بتكليف من بعض الحكومات الأوروبية مثلما هو الحال مع الرحالة هاينريش بارث مكلفاً من قبل الحكومة البريطانية، أو بتكليف من الملك البروسي فيلهيلم الأول أو بدعم من الجمعية الجغرافية البرلينية مثل الرحالة غيرهارد رولفس. كما كان التنافس الأوروبي من أجل كسب موطئ قدم جديد في أفريقيا وراء التسابق نحو إرسال أولئك ذوي الخبرة والدراية بعملية الاستكشاف ومعرفة الطرق والوسائل التي تمكنهم من معرفة كُنه هذه المناطق.

وفي هذا الإطار تطرح هذه الدراسة إشكالية: كيف تمكن الرحالة الألمان من المزاوجة مابين الجغرافيا السياسية والمعرفة الجغرافية؟ ثم إن هناك تنافساً أوروبياً فكيف كان اتجاه هذا التنافس ؟ وإلي أي مدي إرتبط بالسياسة؟ أما فيما يتعلق بأهداف الرحالة فهناك عدة تساؤلات تُطرح منها علي سبيل المثال هل كانت ذات طابع سياسي استعماري مرتبط بالسلطة الحاكمة؟ أم أن الهدف كان معرفي علمي ومن أجل الرحلة فقط ؟ وسوف تعتمد هذه الورقة علي عدد من المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية : ولاية طرابلس الغرب/ الرحالة / الرحالة الألمان/ الاستعمار/ الجمعيات الجغرافية.

Abstract

The Province of Tripoli received many European travelers since the seventeenth century; however, the arrival of the German travelers to the province started before the mid-nineteenth century. The German travelers visited Tripoli either as part of missions commissioned by some European governments, as is the case of the traveler Heinrich Barth who was commissioned by the British government or commissioned by King Prussian Wilhelm I or with the support of Berlin Geographical Society, such as the traveler Gerhard Rohlfs.

The European competition to gain a new foothold in Africa was also behind the efforts to send those travelers with experience and knowledge of the exploration processes and knowledge of the routes and helping means that would enable them to cope with the nature of these areas.

In this context of the European competition, this study deals with the following questions: How did the German travelers manage to merge between political geography and geographical knowledge?

How was this European competition directed? To what extent was the European competition linked to politics?

As for the goals of the travelers, there are several questions to be dealt with in this study, for example, were their goals of a colonial and political nature and were the goals set by the ruling authority? Or were the goals of a scientific nature to gather geographical information?

This paper will rely on a number of sources of data and references.

Kay words: The Province of Tripoli / Travelers / German Travelers / Colonization / Geographical Societies

مقدمة

شهدت ولاية طرابلس الغرب وصول العديد من الرحالة الأوروبيين الذين حملوا جنسيات أوروبية مختلفة منذ القرن السابع عشر الميلادي إليها، بينما كان وصول الرحالة الألمان إلي ولاية طرابلس الغرب قبيل منتصف القرن التاسع عشر ونظراً لأن ألمانيا لم تكن موحدة آنذاك(ما قبل 1871) فقد كان الرحالة يأتون إما ضمن بعثات بتكليف من بعض الحكومات الأوروبية مثلما هو الحال مع الرحالة الألماني هاينريش بارث(Heinrich)

Barth وأدولف أوفيرفيغ (Adolf Overweg) اللذان وصلا إلي طرابلس الغرب سنة 1851م بتكليف من الحكومة البريطانية في إطار نشاط الجمعية الأفريقية التي اتخذت من لندن مقرا لها، بينما كان غيرهما من الرحالة الألمان مكلفين من قبل الملك البروسي فيلهيلم الأول (Wilhelm I) أو بدعم من الجمعية الجغرافية البرلينية مثلما كان الوضع علي سبيل المثال مع الرحالة غيرهارد رولفس (Gerhard Rohlfs) التي كانت أولي رحلاته إلي طرابلس الغرب سنة 1865م،علاوة علي ذلك كان هناك رحالة آخرون قدموا بشكل فردي وشخصي دون أي دعم من مؤسسات مثلما فعل هاينريش بارث في رحلته الأولي سنة 1845، وأدولف غوتلوب كراوزة (Gattlob Adolf Krause)

يمكن القول أن التنافس الأوروبي من أجل كسب موطئ قدم جديد في أفريقيا كان في معظم الأحيان وراء التسابق نحو إرسال أشخاص ذوي خبرة ودراية بعملية الاستكشاف وجمع المعلومات الدقيقة ومعرفة الطرق باستخدام الوسائل التي تمكنهم من معرفة كُنه هذه المناطق التي كانت لاتزال مجهولة للأوروبيين آنذاك.

وفي هذا الإطار تحاول هذه الدراسة طرح بعض الاشكاليات ومحاولة الإجابة عليها والاشكالية الرئيسية هي كيف تمكن الرحالة الألمان من المزاوجة مابين الجغرافيا السياسية والمعرفة الجغرافية؟ ثم إن هناك تنافساً أوروبياً فكيف كان اتجاه هذا التنافس ؟ وإلي أي مدي إرتبط بالسياسة؟

أما فيما يتعلق بأهداف الرحالة ورحلاتهم فهناك عدة تساؤلات تُطرح منها علي سبيل المثال هل كانت ذات طابع سياسي استعماري مرتبط بالسلطة الحاكمة في بلدانهم أم أن الهدف كان معرفي علمي أكثر من أي شئ آخر ومن أجل الرحلة فقط ؟

ومن خلال البحث في موضوع الرحالة الألمان يمكن تقديم توضيحات حول رحلاتهم وما ميز البعض منهم عن الآخر، وكذلك الأنماط التي اتبعوها من خلال تصنيفهم ما بين رحالة قدموا من أجل تحديد الجغرافيا السياسية والحصول علي معلومات دقيقة ورسم خرائط تفصيلية لتقديمها إلي الجهات التي أرسلتهم وفريق آخر جاء من أجل المعرفة والرحلة والترحال والاستكشاف.

وفي النهاية هل يمكن أن تكون هناك مقارنة مابين الرحالة الألمان والرحالة الايطاليين والفرنسيين والانجليز؟

وسوف تعتمد هذه الدراسة علي العديد من المصادر والمراجع من بينها كتب وتقارير أولئك الرحالة.

أهمية ولاية طرابلس الغرب الجغرافية والسياسية:

ولاية طرابلس الغرب هي إحدى الولايات العثمانية في شمال أفريقيا إبان هذه المرحلة موضوع الدراسة، وتنبع أهميتها من المميزات الجغرافية بما يمثله موقعها الجغرافي، حيث تشغل حيزاً جغرافياً كبيراً نسبياً، وتتمتع بشريط ساحلي طويل على البحر الأبيض المتوسط(Riccardi, 1936, p26) وقد هيأ لها ذلك دوراً مهماً في الربط بين كل المناطق المجاورة لها، ومما زاد في قيمة البلاد جغرافياً أنها في امتدادها نحو الصحراء لا يوجد هناك عوائق طبيعية من شأنها أن تعرقل عملية الاتصال والتواصل مع تلك الجهات علاوة علي الأهمية الاقتصادية التي تتمتع بها، لأنها تعتبر بوابة أفريقيا الشمالية، وأقصر طريق يؤدي إلي وسط القارة انطلاقا من البحر الأبيض المتوسط، فمدينة طرابلس الغرب تعد هي نقطة الانطلاق والوصول في آن واحد بالنسبة للقوافل التجارية.

بينما اضطلع ميناؤها بدورٍ جدُ مهم في تنشيط الحركة التجارية البحرية، وقابل هذا النشاط البحري حركة تجارية نشطة برياً، ويقصد بها تجارة القوافل التي نمت وتوسعت كثيراً، وأصبحت هي المحرك الرئيس لثروة البلاد وأسهمت بنصيب وافر فيها خاصة خلال منتصف القرن التاسع عشر(Alghafal,2021,p26 ؛ بن موسي،1988، ص 157)

أما فيما يتعلق بالأهمية الاستراتيجية والسياسية فإنه يجسدها البعد الاستراتيجي الخاص بها، وقد ارتبطت بالوضع الداخلي للولاية من حيث الاستقرار السياسي وعدم وجود الاضطرابات أو الثورات وفي آن واحد ارتبط بالعلاقات الأوروبية الجيدة مع الدولة العثمانية باعتبار أن الولاية تتبعها سياسياً.

يُعد التنظيم الإداري والسياسي الذي اتبعه العثمانيون في ولاية طرابلس جيداً بالنسبة لوضع الولاية فتم تقسيمها إلي أربعة سناجق، وكان كل سنجق يضم مناطق عدة تتبعه إدارياً، وتم اختيار مركزاً لكل سنجق تدار منه مختلف شؤونه ومن ثم تعيين متصرف لكل سنجق(كورو، 1984، ص26).

والجدير بالذكر أن الأوروبيين بصفة عامة كانوا يمتلكون بعض المعلومات المتباينة من حيث الأهمية والحجم عن دواخل ووسط القارة الأفريقية مقارنة بمعلوماتهم الجيدة عن السواحل وأهميتها، لذلك كانت تحدوهم الرغبة في الحصول على رؤية واضحة عن تلك المناطق، وكانت طرابلس الغرب في نظرهم هي المنفذ المناسب والأفضل لتحقيق أهدافهم، ومن هذا المنطلق أصبحت الولاية في دائرة الاهتمام الأوروبي منذ منتصف القرن التاسع عشر، والتي يمكن وصفها بأنها مرحلة دقيقة وحاسمة بالنسبة لموجة الاستكشاف المرتبطة بالاستعمار.

ومن خلال المعلومات المتواترة في الوثائق والمصادر يمكن القول إن بداية الاهتمام والتركيز الألماني علي ولاية طرابلس الغرب كان دافعه في البداية هو دراسة الصحراء لما لها من عوامل جذب للأوروبيين خاصة وأنها كانت تمثل لغزاً لديهم، وعلاوة علي ذلك فإن قيمة وأهمية الولاية زادت لدي الرحالة الألمان بشكل خاص لأنها أصبحت المكان الذي يتم فيه تجهيز الرحلة نحو دواخل أفريقيا، وأيضا فيها يتم اختيار المرشدين والمرافقين والمساعدين، بالإضافة إلي وسائل النقل المحلية التي يمكنها تحمل طقس ومناخ الولاية والنقطة الأهم هي الحصول علي الحماية السياسية وضمان أمن الرحالة وسلامتهم، أضف إلي ذلك التوصية التي يأخذونها معهم ليس من والي الولاية فقط بل أيضا من المتنفذين والتجار الذين يتمتعون بعلاقات جيدة وببعض النفوذ لدي شيوخ قبائل الدواخل(رولفس،رحلة عبر أفريقيا، 1996، ص21).

من أبرز مميزات الولاية أنها كانت تعد حلقة من حلقات العلاقات بين الشرق والغرب إبان هذه المرحلة أي ما بين ضفتي البحر الأبيض المتوسط الشمالية والجنوبية وأكد أهميتها في هذه الفترة توافد الرحالة الأوروبيين عليها، ويصف بعض المؤرخين هذه المرحلة بأنها إحدي مراحل المطامع الاستعمارية في أفريقيا ولكن بنمط مختلف عما هو متعارف عليه في بداية موجة الاستعمار وبالتالي هو نمط مختلف عن أنماط الاستعمار التقليدية الكلاسيكية.

ومما تجدر الإشارة إليه أن القرنين الثامن عشر والتاسع عشر علاوة علي مطلع القرن العشرين قد شهدت حركة نشطة للرحالة والمستكشفين الأوروبيين خاصة منهم الإنجليز والفرنسيين وغيرهما القادمين إلي ولاية طرابلس

الغرب، وقد تقاطعت أهداف هؤلاء في نقاط عديدة من حيث الأهداف والخطط السياسية، ولم يخرج الألمان عن ذلك السياق فكان لهم حضور ملموس، وقد تواتر توافدهم بسبل وطرق مختلفة، وبالتالي نجد تباين واضح بينهم من حيث الأسباب والدوافع والذي يسعون إلي تحقيقه ومن يقف وراءهم بالدعم والمساندة، وانطلاقا من ذلك وجد لدينا نوعان من الرحالة:

النوع الأول: جاء من أجل كشف المناطق المجهولة وجمع المعلومات الجغرافية للدوائر الرسمية التي أرسلتهم سواء كانت حكومة أو مؤسسات أو جمعيات فكان القصد من رحلتهم الوصول إلي المناطق الغير مكتشفة في إطار سياسي استعماري.

النوع الثاني: هو مختلف في كون الرحالة جاءوا من أجل الكشف والترحال والرحلة والحصول علي العلم والمعرفة، وإثراء المكتبات بالمعلومات الجديدة والتعريف بثقافة المناطق الغير معروفة وغير ذلك من المعارف الطبية والجغرافية والتاريخية حول المناطق التي مازالت مجهولة للغرب حتي مرحلة قدومهم إلي الولاية، كما يمكن القول بأن هذا النوع بدأ بجهود فردية غلب عليها في بعض الأحيان طابع المغامرة.

قبل الحديث عن كل نوع منهما علي حدة وجبت الإشارة إلي أن أحد الرحالة يمثل كلا النوعين ولكن في رحلتين مختلفتين ألا وهو هاينريش بارث الذي بدأ بالرحلة بشكل شخصي بدون أي إطار سياسي ولكنه فيما بعد إنضم إلي إحدي المؤسسات ذات الأهداف السياسية الاستعمارية الواضحة.

الرحالة الألمان:

وبالانتقال إلي النوع الأول من الرحالة الذين جاءوا من أجل الجغرافيا السياسية يكون الرحالة:

- هاينريش بارث (Heinrich Barth 1821-1865)

الذي كان في طليعة أولئك القادمين وفق أهداف استراتيجية، فقد كانت رحلته الأولي والدقة التي تميزت بها المعلومات بكونها جديدة ونادرة التي جعلته محط اهتمام الجمعية الجغرافية الانجليزية، لأنه باحث ومستكشف ألماني في أفريقيا وكان يجيد اللغة العربية إلي جانب بعض اللغات الأفريقية.

لذلك استقطبته الحكومة البريطانية وأرادت أن يكون ضمن البعثة الكبيرة التي تعد لإرسالها إلي أفريقيا إنطلاقاً من ولاية طرابلس الغرب حيث رأت فيه المقدرة علي الحصول علي المعلومات الجغرافية الدقيقة المطلوبة عن سواحل ودواخل أفريقيا خاصة عن شعوبها وأوضاعها الاقتصادية ونظام الحكم فيها(رولفس، رحلة إلي الكفرة،2000، ص18)، وقد عزز موقف بارث سفير بروسيا لدي بريطانيا آنذاك البارون دي بونسن الذي اقترح أن يكون بارث أحد أفراد البعثة باعتباره عالم ألماني، ومما يؤكد أن البعثة لم تكن ذات أهداف علمية بحثية صرفة هو موقف والد بارث الذي اعترض وبشدة علي مشاركة ابنه فيها مما دفعه إلي الاعتذار عن أن يكون أحد أفرادها، وقام بترشيح زميل ألماني له يدعي أوفيرفيغ والأخير أوصت بانضمامه إلي هذه البعثة الجمعية الجغرافية ببرلين، غير أن اللجنة أصرت علي أن يكون أحد أعضائها، وفي النهاية وافق بارث علي ذلك وكان من أبرز أعضاء البعثة.

وعلي هذا يكون بارث وأوفيرفيغ من ضمن أوائل الألمان الذين عملوا تحت لواء الحكومة الإنجليزية واللذان سخرتهما لخدمة أهدافها الاستعمارية قصد مد أذرعها في المناطق الأفريقية، حيث كان أهم أغراض هذه البعثة هو تكليفهم بعقد إتفاقيات مع حكام أفريقيا المسلمين لصالح بريطانيا، وأثناء وجود البعثة في أفريقيا قامت الجمعية الإنجليزية بإرسال رحالة ألماني آخر هو إدوارد فوغل ليكون مساعداً لبارث (غانم، 1993، ص20)، وهذه الخريطة توضح خط سير بارث من طرابلس الغرب إلي داخل أفريقيا(Gallica,1945).

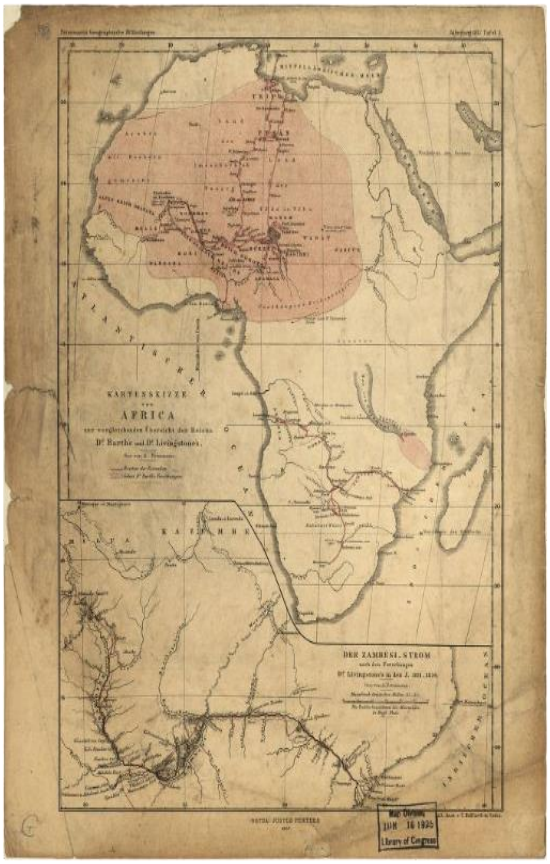

- **غيرهارد رولفس** (Gerhard Rohlfs **1831- 1896)**

بدأ نشاطه في عالم الرحلة منذ سنة 1862، هو طالب الطب الألماني الذي لم ينه دراسته في الطب لينتقل بعدها للتجوال في أوروبا محاولاً الإنخراط في الجيش، ثم حط الرحال في الجزائر وعمل كطبيب ميداني مع الفرنسيين، وتعتبر تجربته هذه كطبيب في الجزائر هي الأساس الذي ولّد لديه فكرة البقاء في أفريقيا وأن يعمل علي اكتشاف مجاهلها.

كان الحظ إلي جانب رولفس كي يسطع نجمه في مجال الرحلة عندما دعمه الجغرافي الألماني الشهير أوغست بيترمان الذي يطلق عليه البعض لقب (أبو الرحالين إلي إفريقيا)، حيث قام بيترمان بتوفير كافة الدعم المادي والمعنوي لرولفس وهو ما شجع بعض المؤسسات علي الحذو حذوه في دعمه، وهي الجمعية الجغرافية البرلينية والجمعية الجغرافية الإنجليزية إضافة إلي مجلس شيوخ بريمن، إثر ذلك انطلق رولفس نحو أفريقيا وقام برحلته داخل المغرب الأقصى محاولاً الوصول إلي تمبكتو لكنه لم ينجح، غير أن نتائج رحلته جعلت نجمه يصعد

ويصبح الأفضل لدي الأوروبيين المهتمين بعالم الرحلة، بل جعلوا منه المختص الأول بأفريقيا، لأنه قدم معلومات وخرائط بل قام حتي بقياس المسافات والارتفاع وتوضيح المسالك والدروب، إثر هذا النجاح قرر رولفس التوجه إلي ولاية طرابلس الغرب التي كان يعتبرها المكان الأفضل لانطلاق الرحلات والاستكشافات نظراً لما تتمتع به من مميزات عن باقي المناطق المجاورة لها، خاصة في سهولة الاتصال مع أوروبا.

قبيل الانطلاق في رحلات جديدة تبدأ من طرابلس الغرب وأثناء وجوده في أوروبا استطاع رولفس أن يجمع دعماً مادياً لرحلته ولكنه لم يكن كبيراً كما كان يتوقع، وفي سنة 1865 بدأ رحلته الجديدة فانطلق إلي طرابلس وإثر وصوله علم أن الجمعية الجغرافية في لندن أرسلت له دعماً مادياً(رولفس، رحلة عبر أفريقيا، 2000، ص38)

رحلات رولفس عديدة في طرابلس اخترقت الولاية من الشمال إلي الوسط ومن الشرق باتجاه الوسط والغرب والجنوب ومن الشمال باتجاه الجنوب وجنوب الصحراء، والعديد من المصادر تسجل وقائع هذه الرحلات خاصة تلك التي كتبها رولفس بنفسه كيوميات أو مشاهدات وصدرت في كتب أو مقالات، ويتم التركيز هنا في هذه الدراسة علي الجهات التي مولت ودعمت هذه الرحلات قصد معرفة اتجاهها ونمطها في الرحلة والكشف الجغرافي.

والخريطتان التاليتان من بين العديد من الخرائط التي وضعها رولفس خلال رحلاته المتكررة وتوضح الأولي بعض من المناطق التي تجول بها والواقعة في وسط ولاية طرابلس الغرب وكيف اختار خط سيره بدقة ثم قام برسم تلك الخريطة(Rohlfs.Kufra,1881)، أما الأخرى يبين من خلالها رحلاته في شمال أفريقيا بما فيها ولاية طرابلس(Schiffers,1954) .

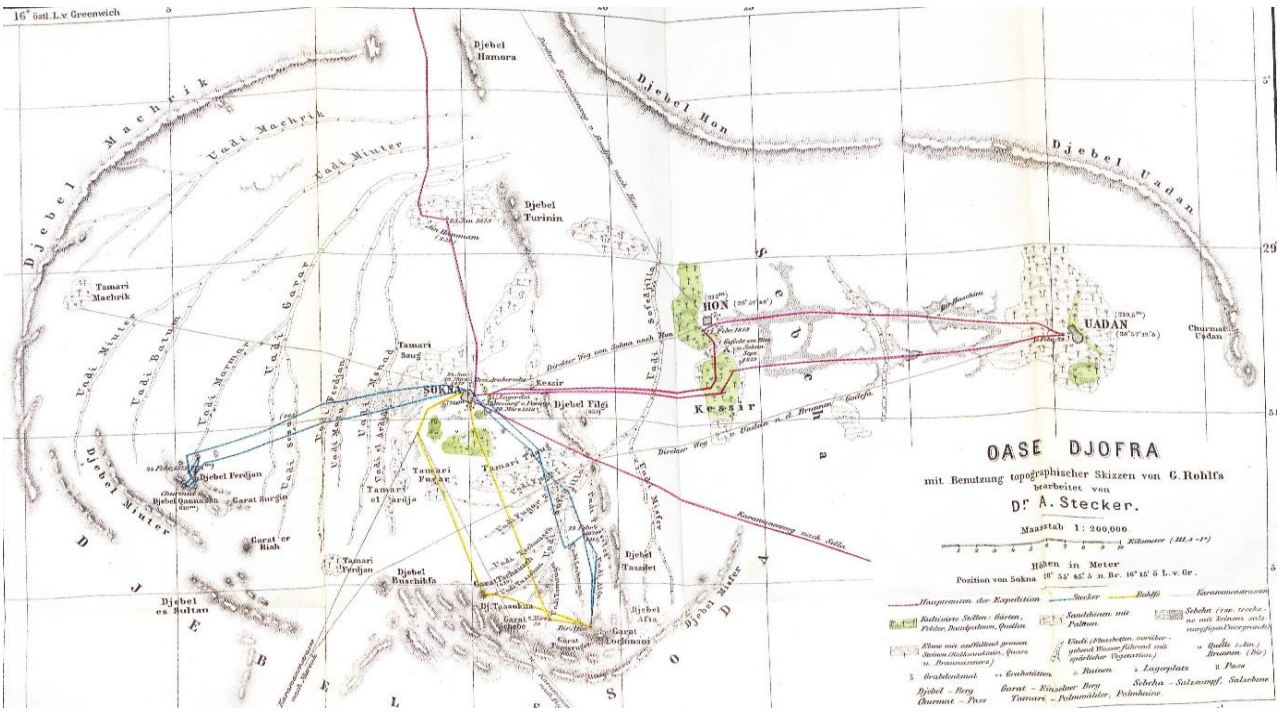

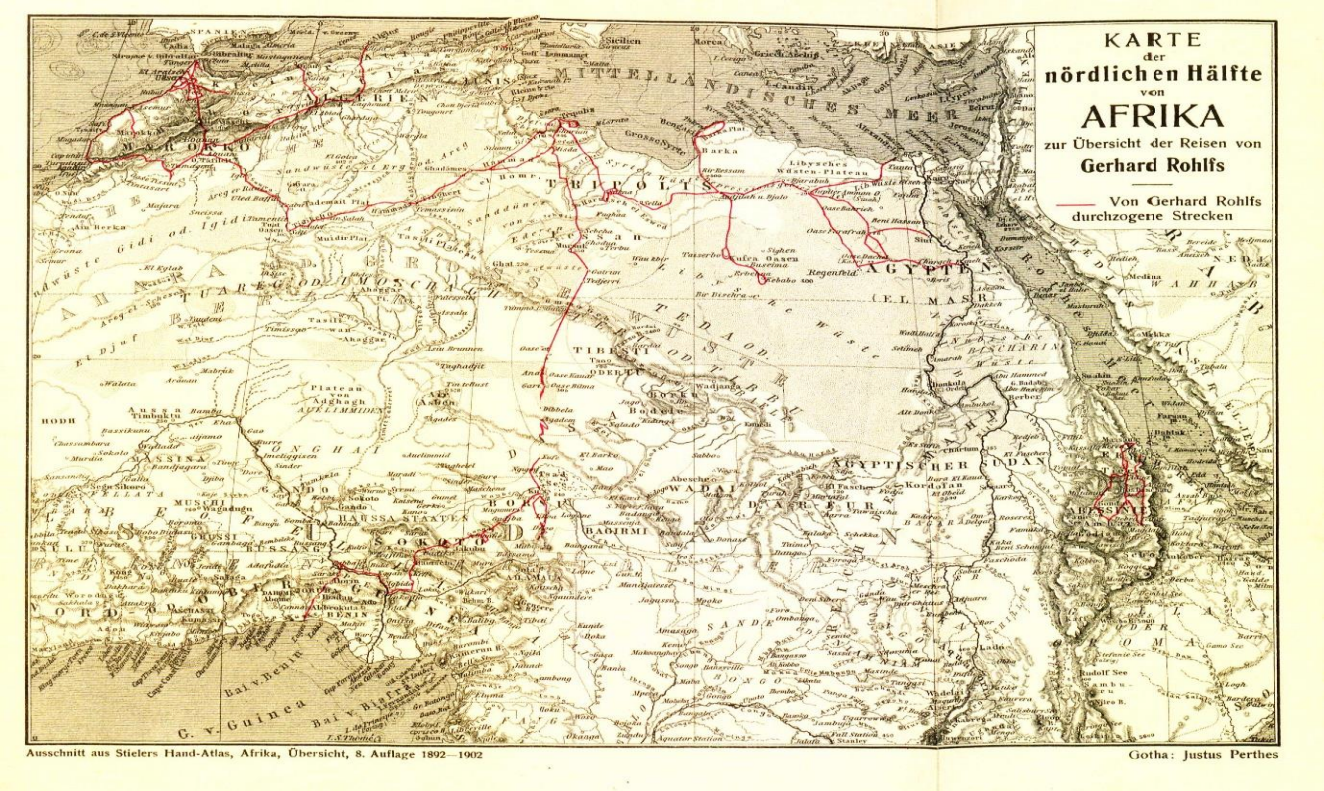

ومن بين المؤشرات التي تدل علي أن رولفس كان رحالة بالفعل ولكنه في الوقت نفسه كان يعمل علي تحقيق أهداف بروسيا وملكها فيلهيلم الأول إلي جانب المؤسسات الأخرى، وأن رحلاته ذات طابع سياسي هو أنه إثر عودته من رحلته الأولي إلي ولاية طرابلس الغرب قيام فيلهيلم ملك بروسيا باستقباله بل أصبح يخصه بعنايته لتصبح علاقة رولفس بالبلاط البروسي قوية، كما منحته الجمعية البرلينية عضوية شرفية.

زادت حظوة رولفس لدي الملك البروسي فأمره أن يكون مرافقاً للجيش الإنجليزي المتجه نحو الحبشة وقد نفذ هذه المهمة كما يجب، ليختاره المستشار أوتو فون بسمارك والملك فيلهيلم الأول لتسليم هدايا الملك البروسي إلي سلطان برنو الشيخ عمر الكانمي.

في سنة 1870 قام رولفس بعرض خدماته علي حكومة بروسيا واضعاً نفسه تحت تصرفها، فقامت وزارة الخارجية البروسية بتوجيه رسالة رسمية إليه للحضور إلي برلين.

توالت بعد ذلك تكليفات حكومة بروسيا لرولفس بمهام مختلفة تحت غطاء الرحلة والكشف الجغرافي منها علي سبيل المثال عندما كلفته بمهمة سياسية في شمال أفريقيا تتمثل في تحريض السكان المحليين ضد الفرنسيين، حيث كان ينشر بين السكان معلومات مفادها أن الفرنسيين يحملون تعصباً دينياً تجاه مسلمي الجزائر بشكل خاص، كما أخذ يشير إلي أن احتلال الفرنسيين لبلادهم أمر غير مشروع، ومن ثم بدأ في تحريضهم علي التخلص من هذا الاحتلال (فيرو،1994،ص505)، وقام بنفس العمل التحريضي في تونس ضد الاحتلال الفرنسي، وتقديراً لجهوده تلك قام الملك فيلهيلم بتعيينه مستشاراً ملكياً لدي البلاط البروسي(رولفس، 2000، ص ص33، 35، 43).

هذا داخل ألمانيا، أما خارجها فقط منحته الجمعية اللندنية أرفع وسام لها، كما منحته الجمعية الجغرافية الباريسية أعلي وسام يناله باحث في مجال الرحلة والكشوفات وهو الميدالية الذهبية، إضافة إلي ذلك فقد منحه ملك إيطاليا نيشان صليب ضابط التاج سنة 1872م(رولفس، 1996، ص ص 36، 78).

ومما يعزز القول بأن رولفس كان ذو اتجاه استعماري الكتاب الذي أصدرته حكومة الرايخ الثالث الألمانية عن رولفس بمناسبة زيارة موسوليني لألمانيا احتوي الكتاب علي العديد من الوثائق والصور الأصلية التي جمعها رولفس أثناء رحلاته المختلفة وكان عنوان الكتاب هو "وثائق أصلية من الأبحاث الاستعمارية للطليعي الألماني في دراسة أفريقيا غيرهارد رولفس في ليبيا والحبشة"(رولفس، 1996، ص ص 79-78).

ومن الملاحظ أن الحكومة الألمانية عندما كانت تريد التحقق من الأوضاع في منطقة طرابلس الغرب وما حولها كانت تختار رولفس لهذه المهمة مثلما حدث إثر قيام الثورة المهدية في السودان قررت الحكومة الألمانية إرسال بعثة لمراقبة الأوضاع عن كثب واختارت رولفس لهذه المهمة غير أن ظروفاً خاصة به منعته من القيام بها(رولفس، 2000، ص40).

- جوستاف ناختيجال (Gustav Nachtigal 1834-1885)

لم يكن جوستاف ناختيجال حاصل علي تأطير أو تأهيل أكاديمي يؤهله لأن يكون رحالة (ناختيجال، 2007، ص80،Nachtigal,Sahara,p.7) ، وقد كان بالأساس طبيب بشري، وكان يمضي إجازة نقاهة في تونس عندما وقع عليه اختيار رولفس ليحمل هدايا الملك البروسي إلي الشيخ عمر الكانمي(ناختيجال، 2007، ص28).

ومن خلال التدقيق في سيرة حياة ناختيجال وأنه ليس له أية علاقة بحقل الكشوفات الجغرافية "... لم تكن لدي خبرة الرحالة، ولم أكن خبيراً في أي من العلوم الطبيعية..." (ناختيجال، 2007، ص80)، ويبدو أن اختياره جاء لهذه الاعتبارات حتي يستطيع جمع المعلومات دون أية صعوبات أو عراقيل، وقد ركز ناختيجال علي الناحية الطبوغرافية والصحية، وكذلك على جمع معلومات دقيقة جداً في مجلد ضخم، وساعده في ذلك معرفته اللهجة العامية العربية علاوة علي إلمامه الجيد بلهجة أهل برنو كما يقول هو عن ذلك "((ناختيجال، 2007، ص26)، ومعرفتي باللهجة العربية وبالتقاليد الإسلامية تعدني أيضاً بتذليل الصعاب للقيام بهذه المهمة" (ناختيجال، 2007، ص80,) .

لقد كان ناختيجال يشغل منصباً أساسياً في رئاسة الجمعية الأفريقية وبالتالي كانت له صلات جيدة تربطه مع المستشار الألماني ووزارة الخارجية الألمانية آنذاك(رولفس، 1996، ص 36)

ومثلما تحصل رولفس علي دعم من بعض المؤسسات كان الحال نفسه مع ناختيجال حيث حصل علي دعم من الحكومة البروسية وجمعية برلين الجغرافية، علاوة علي دعم تجار الشمال له.

ويمكن القول أن ناختيجال نجح في مهمته وهي سياسية بامتياز وأن يختاره رولفس صاحب النفوذ والعلاقات السياسية القوية مع البلاط الملكي والمستشار بسمارك هذا يحمل معاني كثيرة وأن يتم اختياره ليحمل هدايا الملك فهو ذو مغزي كبير والدليل علي ذلك مكافأة ملك بروسيا له بجعله قنصلاً في تونس أولاً ثم عينه بسمارك مفوضاً خاصاً في غرب أفريقيا وهذا بالتأكيد لم يكن مجرد صدفة، ومثلما تم تكريم رولفس من قبل مؤسسات غير ألمانية كذلك كان الأمر مع ناختيجال حيث حصل علي الميدالية الذهبية لمؤسس الجمعية الملكية.

تجدر الإشارة هنا إلي أن ناختيجال حذا حذو رولفس في اتخاذ اسم عربي له عندما قام برحلته إلي ولاية طرابلس الغرب وهو (إدريس أفندي)، كما حصل علي توصية من الوالي لحكام السناجق والمناطق الداخلية حتي يوفروا له الحماية المطلوبة، ومما يدل علي ذلك الرسالة التي أرسلها وكيل متصرف فزان إلي والي طرابلس الغرب يخبره فيها أنه قام بما هو مطلوب منه بخصوص الحماية والاهتمام للرحالة ناختيجال، كما يشير في رسالته تلك إلي أنه وصلته توصية بخصوص ناختيجال من قبل القنصلية النمساوية في طرابلس الغرب يطلبوا فيها الاهتمام به وتوفير كل احتياجاته وما يلزمه وكذلك يتولي مهمة ايصاله إلي مدينة مرزق دون تباطؤ (وثائق السرايا الحمراء، وثيقة رقم 4189).

أما فيما يتعلق **بالنوع الثاني** من الرحالة والذين قدموا لغرض الترحال، فقد تميزوا بالاهتمام بالسكان وتركيبتهم السكانية والاجتماعية وتوزيعهم الجغرافي، كما أولوا اهتمام كبير للعادات والتقاليد والزي التقليدي لكل اقليم داخل الولاية، واهتم البعض منهم بالجانب الثقافي واللغة واللهجات المحلية (غانم،المجتمع الليبي لدي الرحالة..، 2009، ص306)، وهنا أمثلة لبعضهم علي سبيل المثال لا الحصر.

- الجنرال البروسي البارون مينوتولي (1772-1846)

بدأت سلسلة الألمان الذين يعملون من أجل المعرفة الجغرافية ودراسة الحياة العامة والطبيعية والنباتات وغيرها لولاية طرابلس الغرب بالبعثة التي كانت موجهة بالأساس لإجراء الكشوفات في مصر تحت قيادة البارون البروسي الجنرال مينوتولي سنة 1820م، وكان معه عدد من المتخصصين في الفن والجغرافيا والآثار من بينهم عالمان ألمانيان من علماء الطبيعة والبرمائيات هما همبرشي وإيرينيرغ وهذه البعثة قامت بالإعداد لها إعداداً متكاملاً والإشراف عليها الأكاديمية العلمية ببرلين، إثر وصول هذه البعثة إلي مصر ومباشرتها عملها المنوط إليها، بعدها قرروا التوجه إلي شرق ليبيا تحديداً المنطقة الواقعة علي الحدود المصرية وهي برقة وبالفعل توجهوا إلي هناك ولكن الظروف السيئة أدت إلي وفاة مرافقي مينوتولي في منطقة حدود برقة الشمالية (موري،1971، ص ص32-33)، مما اضطره إلي التراجع عن التقدم والعودة أدراجه بل والتخلي عن مشروعه البحثي الكشفي.

- هاينريش بارث

كان شغفه بالآثار والاستكشاف كبيراً مما جعله يسافر إلي لندن سنة 1845 لدراسة الآثار هناك لكنه لم يستقر بها طويلاً حتي قرر المغادرة والقيام برحلة في نفس السنة التي وصل فيها 1845، فحط الرحال في المغرب الأقصي ومنه انتقل إلي الجزائر ثم تونس ومنها إلي طرابلس الغرب حيث توقف ببعض المدن الساحلية بها مثل خليج سرت وبرقة وزار قورينا (مدينة شحات) ومن هناك أكمل رحلته إلي مصر.

ونتيجة خبرته الجغرافية المعرفية واهتمامه بالآثار كان يدون كل ما يشاهده قصد تجميع المعلومات التاريخية والجغرافية حول المناطق التي زارها وفق رؤية أكاديمية، كما كان يلتقط الصور للكثير من الشواهد الهامة والنادرة، غير أنه وللأسف الشديد تعرض للهجوم والسرقة علي يد بعض البدو سنة 1846 عندما كان في المنطقة الحدودية المصرية مما أدي إلي ضياع معظم ما بحوزته من مدونات وصور وتقارير ولم يبق معه إلا النذر اليسير.

- البارون هاينريش فون مالتسان (Heinrich von Maltzan 1826-1874)

هو أكاديمي وحقوقي ألماني، وعالم آثار ورحالة ومن عائلة غنية وعريقة عمل علي تمويل رحلات بنفسه وكان مجال رحلاته المغرب العربي علاوة علي مكة ودمشق.

فيما يتعلق برحلته إلي ولاية طرابلس الغرب التي وصلها قادماً من تونس، حيث أمضي أربعة أشهر في مدينة طرابلس وأثناء إقامته أولي اهتمامه بكل ما يتعلق بالمدينة وما هو موجود داخل نطاقها حيث ركز علي النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، بمعني أنه اتخذ نمطاً مغايراً عن غيره من الرحالة في التوجه إلي عمق الولاية أو التجول في مناطقها الداخلية، بل ركز كل اهتمامه علي مجتمع المدينة وكتب عنها ملاحظاته، التي شملت أيضاً المدن الواقعة غرب مركز ولاية طرابلس (مدينة طرابلس)، وشملت كل من مدن جنزور والزاوية وصبراتة، والتي زارها عقب نزوله في مدينة طرابلس التي وصلها عن طريق البحر ومكث بها مدة ثلاثة أشهر متتالية واستغرقت جولته حوالي الشهر ليعود إلي مركز الولاية ويغادر منها بحراً إلي مالطا(مالتسان، 2008، ص32)، وتجدر الإشارة إلي أنه في رحلته إلي ولاية طرابلس الغرب مطلع سنة 1869م التقي مع رولفس في مدينة طرابلس(غانم، 2009، ص313).

- غوتلوب آدولف كراوزه (Gottlob Adolf Krause 1850 -1938)

هو الرحالة الألماني الذي عُرف عنه أنه ذو نزعة انسانية، وقد زار ولاية طرابلس الغرب العديد من المرات منذ أن كان شاباً يافعاً، وعاصر عدد لابأس به من الرحالة الألمان عند زيارتهم للولاية سواء منهم الألمان مثل غيرهارد رولفس، وناختيجال، والرحالة الهولندية ألكسندرينا تينه، كما وثق للكثير من الأحداث التي رافقت الغزو الإيطالي لليبيا، وكتاباته جاءت علي هيئة تقارير صحفية ونشرت في كتاب قام بترجمته عن الألمانية عماد الدين غانم.

كان كراوزه يجيد اللغة العربية ولغة الهاوسا إلي جانب بعض اللغات الأفريقية الأخري وتحديداً منطقة غرب أفريقيا(غانم، 1993، ص 13).

يشير رولفس من خلال كتاباته إلي أن كراوزه حافظ علي السمة العلمية المعرفية لنشاطه كرحالة وظل بعيداً عن الجمعيات والمؤسسات التي تدعم الاتجاه الاستعماري، وهو ما أكده ناختيجال في إحدى رسائله إلي رولفس عندما قال " إن كراوزه الذي لا يعتبر رحالة لصالح الجمعية ... وفي جميع الاعتبارات لا يمكن استخدامه... لقد أردت أن لا يحصل علي الدعم الأول..." (رولفس، رحلة إلي الكفرة، 2000، ص38).

وعندما قررت الجمعية الأفريقية والتي كانت الجمعية الألمانية جزءاً منها إرسال بعثة كشفية إلي الكفرة تم طرح اسم كراوزه لكن الجمعية رفضت اسناد المهمة له وقررت اسنادها إلي رولفس لأن كراوزه لا يحمل نفس أفكارهم أو أهدافهم، ورأت أن رولفس يمكنه مراقبة تطور الأوضاع خاصة في شرق الولاية، وتحديداً فيما يتعلق بنشاط الزوايا السنوسية، وكذلك تنامي وازدياد حركة تجارة القوافل(رولفس،رحلة إلي الكفرة، 2000، ص40).

ملاحظات حول الرحالة الألمان:

- الرحالة الألمان الذين جاءوا إلي ولاية طرابلس الغرب في مطلع القرن التاسع عشر كان لديهم التكوين العلمي والتأطير الجغرافي ويعملون وفق أسس علمية مبنية علي نظريات علمية.

- بعض الرحالة الذين بدؤوا بعد منتصف القرن التاسع عشر مثل غيرهارد رولفس وجوستاف ناختيجال كانا لا يملكان التكوين العلمي الأكاديمي الذي يؤهلهما للعمل كرحالة.
- كلا النوعين من الرحالة قدّما معلومات قيّمة عن الولاية، غير أن القادمين من أجل الجغرافيا السياسية كانت معلوماتهم شاملة وغزيرة وكانت تحاكي حتي التفاصيل الصغيرة لحياة السكان وطبيعتها أكثر من رحالة المعرفة الجغرافية.

- قام بعض الرحالة مثل غيرهارد رولفس بالإعلان عن أنه مسلم واتخذ اسما عربياً هو مصطفي بك، قصد من وراءه أن يتقي شر الأهالي في الدواخل خاصة في مناطق الطوارق والتبو وحتي لا يتعرض لنفس مصير الكثير من الرحالة الألمان والفرنسيين الذين قتلوا علي يد رجال القبائل في المناطق الداخلية للولاية.

- معظم الرحالة كان يجيد اللغة العربية وبعض اللهجات العامية، واللهجات الأفريقية خاصة أولئك الذين عملوا علي جمع المعلومات الدقيقة لصالح المؤسسات الداعمة لهم.

- لقد نجح الرحالة الألمان في المزاوجة ما بين الجغرافيا السياسية والمعرفة الجغرافية بكفاءة عالية وقدرة متميزة، فحتي بارث الذي جاء في البداية لغرض المعرفة عاد إلي الولاية كعضو في جمعية ذات طابع وأهداف استعمارية ونجح معها مثلما نجح بمفرده.

- الرحالة عديمي الخبرة نجحوا في التركيز علي المعرفة الجغرافية وتسخيرها لتكون الرافد الأساسي للمعرفة السياسية بل والغطاء لها في كثير من الأحيان ولنا في رولفس وناختيجال خير مثال.

- ساهمت النجاحات التي حققها الرحالة الألمان بشكل عام في حصولهم علي التشجيع والتقدير سواء في بلدانهم أو في أوروبا، وساهمت في بروزهم في الأوساط العلمية وفتحت لهم الأبواب للحصول علي عضويات في الأكاديميات العلمية أو الجمعيات الجغرافية، كما نالوا الكثير من الأوسمة تقديراً لجهودهم التي قدموها في مضمار الرحلة(غانم،الرحالة الأوروبيون، 2010، ص1).

أما فيما يتعلق بالتنافس الأوروبي في هذا السياق فقد كان شديداً تجاه قارة أفريقيا وكان ذا اتجاه سياسي في أغلب الأحيان، هذا التنافس جعل من بعض المؤسسات تسعي للاستفادة من ذوي الخبرات والكفاءات من الدول الأخرى مثلما فعلت بريطانيا عندما استقطبت رحالة ألمان وجعلتهم يعملون تحت رايتها وسجلت الانجازات والاكتشافات التي حققوها باسم الجمعية البريطانية.

كان الهدف الظاهر من عملية الكشوفات الجغرافية وارسال الرحالة هو الاكتشاف والتعرف علي مناطق جديدة، غير أنها في حقيقة الأمر كانت ذات طابع استعماري سياسي خاصة تلك التي اشرفت عليها الجمعيات الجغرافية وأيضا التي دعمها ملك بروسيا فيلهليم الأول، وهذه البعثات حظيت بدعم كبير ومتواصل وحرصت السلطة علي نشر نشاطاتها وتقديمها في عدة محافل دولية، بل إنها كانت توجه دعوة للبعض منهم لتقديم خبراتهم ونتائج رحلاتهم في جلسات سياسية وأمام العامة مثلما كان الحال مع غيرهارد رولفس.

وفيما يتعلق بالرحالة الأوروبيين سواء الفرنسيين أو الإنجليز أو الإيطاليين فقد توافدوا علي ولاية طرابلس الغرب في فترات متقاربة وأحيانا كان يصل أكثر من رحالة في وقت واحد، خاصة بعد منتصف القرن التاسع عشر،

وهؤلاء الرحالة أيضاً كانوا صنفين الأول بعثات علمية صرفة والثاني ذا أهداف علمية كشفية سياسية ، ومن بين رحالة الصنف الأول نشير علي سبيل المثال لا الحصر إلي الرحالة الفرنسي ماتويزيولكس والرحالة بيرنيه فقد قدما للبحث العلمي في مجال الآثار والجيولوجية (فيرو، 1994، ص 527).

بينما يمثل الصنف الثاني بشكل كبير وواضح الرحالة الإيطاليون الذين دخلوا طرابلس الغرب كمنافسين لغيرهم من الأوروبيين ويحملون أهدافاً وأفكاراً استعمارية في آن واحد، وقد مولت الجمعية الإيطالية للاستكشاف الجغرافي والتجاري، وبعض المراجع تذكرها باسم جمعية ميلانو للاكتشافات التجارية في أفريقيا(موري،1971، ص94)، وكذلك معظم تلك البعثات ومن بينها بعثة مانفريد كامبيريو، والرحالة بيتر مامولي، والبعثة الشهيرة برئاسة سفورتزا وغيرهم، وقد قاموا بجمع معلومات سياسية واقتصادية عن الولاية بل إنهم طالبوا الجمعية الإيطالية السالفة الذكر بإرسال أشخاص متخصصين في جمع المعلومات إلي طرابلس الغرب حتي يتسنى لهم الحصول علي المعلومات المطلوبة بشكل أدق (فيرو، 1994، ص530).

وبالرغم من كثرة الرحالين الإيطاليين في هذا السياق إلا أنه يوجد رحالة فرنسيون جاءوا لغرض الجغرافيا السياسية مثل الكولونيل ب. ل. مونتيل ويكفي الإشارة إلي أنه أحد ضباط المستعمرات الفرنسية ليضبح هدفه واضحاً، علاوة علي الرحالة الإنجليزي سويسون كوبر الذي كان هدفه الأساسي البحث في النواحي الأثرية والحفريات غير أنه أثناء وجوده في ولاية طرابلس الغرب قام بتحديد مواقع بعض المناطق مثل وادي كعام وغيره وقدم تقريره النهائي إلي الجمعية الجغرافية بلندن(موري،1971، ص ص 102-103).

خاتمة:

من خلال ما تم عرضه خلال هذه الدراسة يمكن القول إن نشاط معظم الرحالة الألمان في ولاية طرابلس الغرب لم يأت بشكل اعتباطي بل كان مدروساً وفق أنماط حددتها السلطة السياسية في ألمانيا في محاكات لما تقوم به بعض الحكومات الأوروبيةفي نفس السياق ، وتنافست فيما بينها من أجل الوصول إلي الأهداف المرجوة منها.

وعلي الرغم من الجوانب السلبية التي تحملها في أحد جوانبها ألا وهو الرحلة من أجل الجغرافية السياسية ووضع تصور يكون أقرب إلي الدقة والواقعية أما أصحاب القرار السياسي في بلادهم، إلا أنها أكدت وأبرزت في المقابل وبشكل كبير أهمية ولاية طرابلس الغرب الجيوسياسية والاستراتيجية، وهو ما أجمع عليها جميع الرحالة الألمان.

ويمكن القول أنه من أهم النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة أن كلا النوعين من الرحالة قدّما معلومات قيّمة عن الولاية، غير أن القادمين من أجل الجغرافيا السياسية كانت معلوماتهم شاملة وغزيرة وكانت تحاكي حتي التفاصيل الصغيرة لحياة السكان وطبيعتها أكثر من رحالة المعرفة الجغرافية، علاوة علي ذلك أن الرحالة الألمان نجحوا في المزاوجة ما بين الجغرافيا السياسية والمعرفة الجغرافية بكفاءة عالية وقدرة متميزة، منهم علي سبيل المثال لا الحصر هاينرش بارث الذي جاء في البداية لغرض المعرفة عاد إلي الولاية كعضو في جمعية ذات طابع وأهداف استعمارية ونجح معها مثلما نجح بمفرده.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

_ الوثائق:

1- وثائق السرايا الحمراء: وثيقة رقم 4189، مرسلة من وكيل متصرف فزان إلي مقام الولاية الجليلة العالية، وثائق السرايا الحمراء، طرابلس.

_ كتب الرحالة:

1- رولفس، غيرهارد. (2000). رحلة إلي الكفرة: تقارير الرحالة الألماني غيرهارد رولفس عن رحلته من طرابلس إلي الكفرة عبر بني وليد وسوكنة وهون وودان وزلة وأوجلة وجالو وبنغازي. دراسة وترجمة عماد الدين غانم. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

2- ــــــــــــــــــــــــ، (1996). رحلة عبر أفريقيا: مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا 1865-1867. دراسة وترجمة عماد الدين غانم. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

3- مالتسان، هاينريش(2008). في رحاب طرابلس وتونس مع الرحالة الألماني البارون هينريش فون مالتسان عام 1869، دراسة وترجمة عماد الدين غانم. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس.

4- ناختيجال، جوستاف.(2007). الصحراء وبلاد السودان. المجلد الأول، الكتاب الأول طرابلس وفزان، الكتاب الثاني تيبستي أو تو، ترجمه عن الأصل الألماني إلي الإنجليزية ألن. ج. ب. فشر وهمفري فيشر، ترجمة وتقديم عبدالقادر المحيشي، مراجعة صلاح الدين السوري، راجعه علي الأصل الألماني عماد الدين غانم. منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. طرابلس.

ثانياً: المراجع:

1- بن موسي، تيسير. (1988). المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني: دراسة تاريخية اجتماعية، الدار العربية للكتاب. طرابلس.

2- ــــــــــــــــــــ .(1993) تقارير غوتلوب آدولف كراوزه الصحفية حول الغزو الإيطالي لليبيا. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية. طرابلس.

3- غانم، عماد الدين.(2010). الرحالون الأوروبيون إلي أفريقيا ومرشدوهم الليبيون: محمد القطروني نموذجاً. المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية. طرابلس

4- ــــــــــــــــــــ .(2005). المجتمع الليبي لدي الرحالة الأوروبيين: المجتمع الليبي 1835-1950: أعمال الندوة العلمية الثامنة التي عقدت بالمركز في الفترة من 26-2000/9/27، تحرير محمد الجراري. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية . طرابلس.

5- فيرو، شارل.(1994). الحوليات الليبية منذ الفتح العربي حتي الغزو الإيطالي. ترجمة محمد عبدالكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس. بنغازي..

6- كورو، فرانشسكو. (1984). ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني، تعريب خليفة التليسي، (طرابلس: المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان. طرابلس.

7- موري، اتيليو. (1971). الرحلة والكشف الجغرافي في ليبيا منذ مطلع القرن التاسع عشر حتي الاحتلال الإيطالي. ترجمة خليفة التليسي. دار الفرجاني. طرابلس.

ثالثاً: المصادر الأجنبية:

1_ BNF. Gallica.(1854). Map of part of Northern Africa: showing the routes of the expedition under Messieurs Richardson, Barth, Overweg & Vogel in the years 1850 and 1853/constructed by Augustus Petermann from the Royal Geographical Society; lithographed by A. Petermann. Themenschwerpunkt Tripoli, Régence de Tripoli, Bibliothéque nationale de France. Paris.

2_ Alghafal, Suaad. (2021). A Bridgehead to Africa: German Interest in the

Ottoman Province of Tripoli (Libya) 1884-1918 .De Gruyter .Berlin/Boston.

3_Gustav, Nachtigal.(1976) Sahara und Sudan: Ergebnisse sechsjähriger Reisen in Afrika. Erster Band. Graz.

4- Kufra, Gerhard Rohlfs.(1881) Reise von Tripolis nach der Oase Kufra, ausgeführt im Auftrage der Afrikanischen Gesellschaft in Deutschland, Leipzig.

5_ Riccardi ,Achille.(1936). Dardano and Riccardo .Xiv. Atlante D'Africa , Ulrico Hoepli, Milano.

6_ Schiffers,Heinrich.(1954). Wilder Erdteil Afrika: Das Abenteuer Der Grossen Forschungsreisen. Athenäum Verlag. Bonn.